****

**محمد صلى الله عليه وسلم النبي القائد**

أهم شخصية قيادية تناولها القرآن الكريم هي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي الأهم عبر أجيال تاريخ الإنسانية؛ ذلك أن الله جل جلاله اختص محمدًا صلى الله عليه وسلم دون البشر بوظيفة قيادة الناس جميعًا؛ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: 28]، وتميز النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لم يكن قائدًا للناس فحسب، بل كان له أتباع من الجن أيضًا، وبذلك فهو القائد لعالمي الإنس والجن؛ قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]؛ فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (... **وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**)[[1]](#footnote-1)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**فأنا سيدُ ولد آدم ولا فخرَ**)[[2]](#footnote-2)، أمام هذه المهمة الكبيرة له صلى الله عليه وسلم، بيَّنت لنا آيات القرآن الكريم الصفات القيادية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالتفصيل، ولقد تدرج رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في حياته تدرجًا طبيعيًّا مثل بقية الناس، ولكنه اختلف عنهم كونه نبيًّا ورسولًا صلى الله عليه وسلم، وعانى ما عانى من قومه ومن غيرهم، وتحمَّل أعباءً لا يتحملها إلا مثله، فكان قدره أن يكون عبدًا نبيًّا رسولًا قائدًا، ولم يوافق حين خُيِّر أن يكون قائدًا نبيًّا ملِكًا، ومن أساسيات القيادة الإيجابية التي أثبتها القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم، والتي ساهمت في نجاحه في مهمته نجاحًا صار أنموذجًا للبشرية:

1. **العلم والحكمة:** والعلم صفة قيادية ينبغي أن تكون في أعلى قائمة الصفات القيادية الإيجابية؛ لأهميتها وقيمتها، وهي كانت كذلك في القرآن العظيم؛ فهي ترفع القائد إلى درجة الوعي الراشد، والفقه التام بالأمور؛ لهذا كان القائد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يتصف بالعلم، فلقد علمه ربه؛ قال تعالى: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: 113]**، وقد اقترنت صفة العلم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم مع الحكمة في القرآن الكريم وكأنهما صفة واحدة، بالرغم من أن إحداهما غير الأخرى؛ فقد نجدهما عند قادة آخرين منفصلتين، ولكنهما مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم حالة واحدة؛ فالآية الآنفة الذكر نجد فيها: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ} [النساء: 113]، ويقول تعالى: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء: 39]؛ فالكتاب الذي أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن، ما يعني العلم؛ لأن إخباره بأحوال الأولين والآخرين علم، وأحكامه علم، والعقائد التي فيه علم، والحدود علم، وهذا العلم هو الحكمة بعينها؛ لأنها وضَعت أحوال الكون في محلها الصحيح.

وكان معلِّم النبي صلى الله عليه وسلم هو جبريل عليه السلام؛ قال تعالى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم: 5]، وكان الله جل جلاله يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أحيانًا من غير واسطة؛ أي: بشكلٍ مباشر، كما حصل عندما عرج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء؛ قال تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: 8 - 10]، وما أوحي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو عين العلم؛ لأن الوحي كله علم؛ فهو كلام الله جل جلاله، ومن أجل صورة واضحة لحجم العلم الذي كان مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بينا أنا نائم أُتِيت بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أَعطيتُ فَضلي عمر بن الخطاب))، قالوا: فما أوَّلتَه يا رسول الله؟ قال: ((العلم))[[3]](#footnote-3)، وإن الحد الأدنى من العلم الذي ينبغي أن يتوفر للقائد الإيجابي هو ما جاء في قول ابن القيم رحمه الله: (فالحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ودلائل الحال، ومعرفة شواهده، وفي القرائن الحالية والمقالية، كفقهه في كليات الأحكام - أضاع حقوقًا كثيرة على أصحابها، وحكم بما يعلم الناس بطلانه، لا يشكُّون فيه، اعتمادًا منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرائن أحواله، فها هنا نوعانِ من الفقه لا بد للحاكم منهما:

- فقه في أحكام الحوادث الكلية.

- وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس، يميز به بين الصادق والكاذب، والمحق والمبطِل، ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطي الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفًا للواقع)[[4]](#footnote-4).

ولأهمية صفة العلم للقائد، فإن الله جل جلاله أمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم بطلبِه والزيادة منه، ولم يطلب النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة من غيره؛ قال تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: 114]، وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من الليل، قال: ((لا إله إلا الله، سبحانك اللهم إني أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زِدني علمًا، ولا تُزِغْ قلبي بعد أن هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**))[[5]](#footnote-5).**

وإن الصفة الوحيدة التي جعلها الله جل جلاله أساسًا ومعيارًا للترجيح بين خلقه هي صفة العلم؛ قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: 9]، وما ذلك إلا لأهميتها وشرفها ورُجحان كِفتها.

**العلم النافع للقائد**

* العلم في أساسيات الجانب الإيماني، ومعرفة حقوق الله تعالى عليه، وكيفية الوصول إلى معية الله جل جلاله ونصرته.
* العلم بشخصيته هو نفسه، ومعرفة مكامن القوة والضعف، والمهارات والقدرات التي يمتلكها؛ وذلك لتحديد القضايا التي يحتاج فيها إلى الآخرين.
* معرفة أنواع الشخصيات، وطرق التعامل معها، والأساليب الفعالة للتواصل مع الآخرين؛ كفنَّيِ الحوار والتفاوض، وكذلك المستوى الفني والعلمي لهم، والمعطيات الأخرى عن الجماعة أو الفريق أو الأمة التي يقودها.
* المعرفة الكافية بالظروف والأجواء المحيطة بالجماعة التي يقودها، على مستوى التاريخ والجغرافية، والاجتماع والسياسة والاقتصاد.
* أما بقية العلوم فله أن يتخذ مستشارين متخصصين.

1. **سمو الجانب الرُّوحي (الإيماني):** وهي الخَصلة الأهم بعد العلم في صفات أي قائد يسعى لأن يكون إيجابيًا؛ فهي الضامن له لكي يسير بخطى ثابتة نحو الأهداف، ومنها إلى النجاح، ولم يكن القائد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليترك أو ليستهين بهذه الصفة؛ فهو يعرف أهميتها وقيمتها، وكان ربه سبحانه وتعالى يحثه على ذلك، ويبين له الوسائل المؤدية لذلك الهدف، ويدله على الطريق؛ قال تعالى: {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا \* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل: 2 - 4]، وقال له ربه جل جلاله: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78].

إن الصلاة عماد الدِّين، ونور اليقين، وهي من أهم وسائل الارتقاء بالنفس البشرية، ولقد كانت صلاة التهجد واجبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر؛ وذلك لأهميتها؛ فقد أمره الله جل جلاله بها بقوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79]، ثم خفف عنه فيما بعد لكثرة الأعباء، وما كل ذلك إلا من أجل الارتقاء بالجانب الروحي عنده؛ فبالصلاة يرتقي ويطمئن الفرد، وبذكر الله جل جلاله تسمو النفس البشرية، وترتقي بقربها من ربها جل جلاله؛ لذلك فإن الله جل جلاله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف: 205]، بل إن الله جل جلاله يأمره صلى الله عليه وسلم بأن يستمر بالارتقاء بروحه عن طريق الإكثار من العبادة، وخاصة الصلاة منها، حتى يأتيه الموت؛ قال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99].

والخِطاب القرآني حين يُثني على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يصفه بالعبد؛ قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 23]، وقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: 1]، فبالرغم من أن المقام في حادثة الإسراء والمعراج مقام تكريم وفخر، ففيه قطع صلى الله عليه وسلم مسافات شاسعة في وقت قياسي، وفيه ارتقاء إلى السماء، وفيه أَمَّ صلى الله عليه وسلم الأنبياء في الصلاة، والأعظم من ذلك فيه تكليم لله جل جلاله - فإن الله جل جلاله وصَفه في ذلك المقام بصفة العبد؛ لأن فيها سموًّا ورُقيًّا روحيًّا؛ يقول المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيقال له، فيقول: ((**أفلا أكون عبدًا شكورًا**))[[6]](#footnote-6).

فإن استطاع القائد أن يبلغ مقام العبودية الحقيقية مع خالقه جل جلاله، فإنه سيسمو بروحه، وعند ذاك ستنشط قدراته، وتتفتق طاقاته، وتظهر مهاراته، ويستطيع من خلال هذا المقام أن يقدم خدمات عظيمة لمن معه، وكل الناس عباد لله جل جلاله، وهي عبادة قدرية؛ فالله جل جلاله يُخضِع العباد لسلطانه، شاؤوا أم أبَوْا، ولكن العبودية الإرادية هي العبودية التي يستطيع القائد أن يرتقي بنفسه، ويتميز بها عن بقية الناس.

1. **الإنسانية**: فقد كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يؤكد هذه الحقيقة، فيقولها بنفسه: (إنه إنسان)، وإنه بشر مثله مثل بقية الناس في الإنسانية، وإنما حمل أمانة ومسؤولية الرسالة الإلهية التي كان عليه أن يبلغها للناس، ثم يقودهم من أجل هذه الرسالة، وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بفضل ربه عليه، ونجح بتوفيق الله جل جلاله نجاحًا باهرًا في مهمته؛ قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ} [فصلت: 6]، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110].

وحين يحاول بعض من أتباع القائد أن يحولوه إلى مرتبة غير بشرية؛ كالملائكية أو غيرها، فعلى القائد الذي يطمح أن يكون إيجابيًّا: أن يرفض ذلك رفضًا قاطعًا، والكثير من الناس من يفعل ذلك؛ قال تعالى: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} [الفرقان: 7]، فجاءت الإجابة في موضع آخر من القرآن العظيم، وذلك هو قوله تعالى: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء: 93].

وهذه الصفة البشرية هي التي دعت النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى أن يتصف بصفة قيادية إيجابية أخرى مهمة، هي صفة التواضع؛ قال تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: 88]، وقال تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 215]، ولقد كان يضرب بتواضعه صلى الله عليه وسلم المَثَل، ومن أمثلة ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم مع ذلك الرجل الذي ارتبك حين وقف بين يديه؛ فعن جَرير بن عبدالله رضي الله عنه، قال: أُتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل ترعد فرائصه، قال: فقال له: ((هَوِّنْ عليك؛ فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء))، قال: ثم تلا جَرير بن عبدالله البجلي: {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [ق: 45][[7]](#footnote-7).

فالقائد لا يكون جبارًا، مخيفًا، متسلطًا، متوحشًا، ترتعد فرائص الناس منه، وكل هذا في الأصل ليس قضيته، وهو لا يسعى إليها على أية حال، بل هو على عكس ذلك، فيذكرهم بأنه بشر مثلهم، فيكون لين الجانب، وطيب الخُلق معهم، ولكن تكليفه بسياستهم وتدبير شؤونهم هو ما يجعله رئيسًا لهم، فيباشر شؤون القيادة والرياسة وفق هذا المفهوم، ولكن عليه ممارسة هذا التواضع وفق آلية التوازن؛ حتى لا يستغل تواضعه ويفقد مركزيته وسلطته على الآخرين.

وحين يعبر القرآن الكريم عن مقام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ويذكره بصفة أنه (عبد) كما أسلفنا، فقال تعالى: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: 10]، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: 1] - فإنما تأتي أهمية هذه القضية الفصل تبيانًا لعقائد فاسدة سابقة، كانت تعتقد بها أمم سبقت الأمة الإسلامية، فمن تلك الأمم: الفُرْس، الذين كانوا يعتقدون أن (كسرى) هو جزء من الذات الإلهية، وأن تصرفاته لا تأتي معبرة عن نفسه، وإنما عن إرادة إلهية، فهم يرفعونه إلى درجة الألوهية، وهي درجة وهمية غير حقيقية، وكانوا يسمونه (شاهنشاه) وتعني ملك الملوك؛ ولهذا كانوا يسجدون له وينحنون له، ومن هنا جاءت المعتقدات المعاصرة المنبثقة من هذه العقيدة موافقة لها، ومشابهة لطقوسها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أخنى[[8]](#footnote-8) الأسماء يوم القيامة عند الله: رجل تَسمَّى: مَلِكَ الأملاك))[[9]](#footnote-9)، وربما كان اعتقاد الروم بالقيصر فيه شيء من هذا القبيل، ولكنهم أقل تطرفًا من الفُرْس.

1. **انتفاء علم الغيب:** ولأن قلوب الناس تتعلق بمن يقودها، فتجدهم يعظمونه بما ليس هو أهلًا له، ويرفعونه إلى مكانة هو لا يستحقها، ولعل من ذلك التعظيم أن يظن الناس أن قائدهم يعلم الغيب، وتزداد هذه الصفة عند الناس إذا اجتمعت صفة النبوة مع صفة القيادة، وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أكثر الأنبياء الذين أطلعهم الله جل جلاله على أمور غيبية، ولكنه مع كل ذلك كان يخاطبهم بقوله تعالى**:** {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 188]، وقال تعالى: **{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} [الأنعام: 50]**، وما ذلك إلا رسالة تُبعَث لمن معه ولمن يتبعه إلى يوم الدِّين، بأنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم من الغيب إلا ما أذن الله جل جلاله أن يعلم، ولا يعلم ما في الغد؛ فعن الرُّبَيِّعِ بنت مُعوِّذ رضي الله عنها، قالت: دخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم غَداةَ بُنِيَ علَيَّ، فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجُوَيريات يضرِبْنَ بالدف، يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لا تقولي هكذا، وقولي ما كنتِ تقولين))[[10]](#footnote-10).**

وفي ذلك دلالة على أن الله جل جلاله يريد من القائد أن يعلِّم الرعية أن تسير وفق السنن الكونية التي أقرها الله جل جلاله لعباده، وعدم القفز عليها، والحذر من العمل خارج نطاقها، ومن ذلك: سن التشريعات والقوانين التي تضبط مصالح الناس، وتضمَن مصالحهم.

**وقد جاءت مجموعة مشتركة متتابعة، وعددها سبع صفات، من صفات القائد النبي محمد صلى الله عليه وسلم في آية واحدة، هي (من 5 إلى 11)،** وتتجلى هذه الصفات فيقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]؛ فالصفات القيادية الإيجابية للقائد - التي ذكرتها هذه الآية، والتي تحلَّى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - هي:

1. **اللين:** ولان يلين، بمعنى استجاب للتغيير لأقل جهد؛ قال تعالى في حق داود عليه السلام: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبأ: 10]، فإن الحديد كان يستجيب ليد نبي الله داود عليه السلام؛ (قال ابن جرير الطبري: {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبأ: 10]، كان يُسوِّيها بيده، ولا يدخلها نارًا، ولا يضربها بحديدة)[[11]](#footnote-11).

فاللين في الأشياء: هو ما نستطيع أن نغير شكله بجهد قليل نقوم به، فمن ذلك سيقان بعض النباتات الخضراء الطرية التي يمكن أن نغير شكلها مثلما نشاء، فنقول عنها: لينة، هذا في الجانب المادي للأشياء، وهذا الوصف يمكن أن يتصف به القلب (اللين)؛ فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: ((**يا أبا أمامة، إن من المؤمنين مَن يلين لي قلبه**))[[12]](#footnote-12).

ولين القائد هنا بمعنى المرونة المطلوبة من أجل ألا ينفِّرَ الناسَ مما جاء به إليهم، ويضمن تحقيق طاعة الناس للقائد، وحبهم له، وليس اللين الذي يجعل الرعية تستهين بالقائد، وهكذا تعامَل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رعيته وفق هذا المبدأ، فكان لينًا معهم، ولكن بوسطية تبقيهم في مكانة لا يتجاوزون فيها قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يستهينون بما جاء به صلى الله عليه وسلم، وهذا الحال كان مع المقربين من أصحابه قبل عامة الناس، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يتوانى عن تعنيفهم أو تغليظ القول عليهم أحيانًا إذا اقتضت الضرورة؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قلت: يا نبي الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ((**ثكِلَتْك أمك يا معاذ،** وهل يكُبُّ الناسَ على وجوههم في النار إلا حصائدُ ألسنتِهم؟))[[13]](#footnote-13).

وكانت آيات القرآن الكريم تأتي لتصحيح مسار القائد حين يكون ليِّنَ الجانب أكثرَ مما ينبغي، فحين جاء بعض من كان يريد أن يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبقى في المدينة، ولا يغزو معهم في غزوة تبوك، سمح لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بالبقاء، فعاتبه ربه جل جلاله؛ قال تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} [التوبة: 43]، ومثل هذا الأثر ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من لين الجانب مع عامة الناس، بل وحتى المنافقين، حين خُيِّر صلى الله عليه وسلم في أن يستغفر لهم أو لا يستغفر لهم، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستغفر لهم، ويصلي عليهم صلاة الجنازة، وحين يسأل عن ذلك، وهو يعلم أنهم منافقون، فإنه يبين أنه يرجو أن يهديهم الله جل جلاله، فكان يبين للناس أنه خُيِّر فاختار، ثم إن الخطاب القرآني قطع الأمر بعد ذلك، بقوله تعالى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة: 84]، فالمطلوب من القائد أن يميز من معه، ممن يتوسم فيه الخير، وإن الأمل معقود بهدايته، عمن لا خير فيه، ولا طائل من كثرة إقناعه وهدايته، وعلى العموم فالقائد الإيجابي تنطبق عليه حكمة من قال: (لا تكُنْ لينًا فتُعصَر، ولا صُلبًا فتُكسَر).

1. **نفي الفضاضة:** جاء في الصحاح للجوهري: ([ 5- **نفي الفضاضة وغلظة القلب**: والفض: الكسر بالتفرقة. وقد فضه يفضه، وفضضت ختم الكتاب، وفى الحديث: "لا يفضض الله فاك "، وفضاض الشئ: ما تفرق منه عند كسرك إياه. وانفض الشيء، أي انكسر. وفضضت القوم فانفضوا، أي فرقتهم فتفرقوا. وكل شيء تفرق فهو فضض)، فالقائد الإيجابي يجمع ويوحد ويؤلف، ولا يشتت أتباعه بالضغط عليهم ثم يتفرقون عنه من جراء هذا الضغط، وإن حجم هذا التفرق ونوعه يتناسب مع حجم الضغط والقوة التي يمارسها القائد مع أتباعه.

وأما غلظة القلب التي نفاها القرآن الكريم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في المصباح المنير للفيومي: (غلُظ: الشيء بالضم "غِلَظًا"، خلاف دقَّ، والاسم "الغلظة" بالكسر، وحكى في البارع التثليث عن ابن الأعرابي، وهو "غليظ"، والجمع "غلاظ"، وعذاب "غليظ" شديد الألم، و"غلظ" الرجل اشتد، فهو "غليظ" أيضًا، وفيه "غلظة"؛ أي: غيرُ ليِّن ولا سَلِسٍ، و"أغلظ" له في القول "إغلاظًا" عنفه، و"غلَّظت" عليه في اليمين "تغليظًا": شددت عليه وأكدت، و"غلظت" اليمين "تغليظًا" أيضًا: قويتها وأكدتها، و"استغلظ" الزرع: اشتد، و"استغلظت" الشيء: رأيته "غليظًا")، والقائد الإيجابي لا يكون متشددًا ولا عنيفًا مع الناس، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان لا يعرض عليه أمران إلا اختار أيسرهما؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الدِّينَ يُسرٌ، ولن يشادَّ الدِّين أحدٌ إلا غلبه؛ فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغَدوة والروحة، وشيءٍ من الدلجة))[[14]](#footnote-14)، وكان هذا هو نهجه في القيادة.

1. **العفو عند المقدرة:** لقد عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خَلق كثير ممن كانوا ضمن رعيته ثم تمردوا عليه، ولقد أساؤوا له صلى الله عليه وسلم بهذا الفعل إساءة كبيرة، ولكن حين تمكن منهم صلى الله عليه وسلم عفا عنهم، والكثير من هؤلاء ممن ارتد في حياته ثم عاد للإسلام، ولم يكن عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من يتبعه فحسب، بل كان حتى مع أعدائه؛ فقد عفا عن أهل مكة عفوًا عامًّا يوم فتحها، وعفا عن أفراد معينين بشكل شخصي، مثلما عفا عن وَحْشِيٍّ قاتلِ عمه الحمزة، وقد عفا صلى الله عليه وسلم عن بعض مَن أُسر في معركة أُحُد من غير فداء، وحين سئلت زوجه السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلقه صلى الله عليه وسلم قالت: (قالت: كان أحسن الناس خُلقًا، لم يكن فاحشًا، ولا متفحِّشًا، ولا سخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)[[15]](#footnote-15)، وهكذا فإن من ضرورات القيادة الناجحة أن يكون القائد عفُوًّا؛ لأنه ينبغي أن يتبنى كليات القضايا، وعظام الأمور، وجسام الحوادث، فلو لم يكن عفُوًّا فإن هذا يعني انشغاله بالأمور الصغيرة، من محاسبة هذا على ماضٍ قريب أو بعيد، ومجازاة هذا على فعل قديم، فيكون قد انصرف عن المهمة الرئيسية التي هو مكلف بها، كما أن عدم العفو والإصرار على الاقتصاص من كل مَن أخطأ سابقًا، سيجعل العلاقة بينه وبين من يعول تنطلق انطلاقة سلبية، فيها من الضغينة والبُغض والشحناء ما يؤثر سلبيًّا على مستقبل المجموعة.

ولكن صفة العفوِ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن بغير ضابط، بل كانت تتحول إلى حسمٍ عندما يُستغَلُّ هذا العفو من قِبل الآخرين؛ فقد قال الشافعي رحمه الله: "وكان الممنونُ عليهم بلا فدية أبا عزة الجمحي، تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناته، وأخذ صلى الله عليه وسلم عليه عهدًا ألا يقاتلَه، فأخفره وقاتله يوم أحد، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يُفلِتَ، فما أُسِر من المشركين رجل غيره، فقال: يا محمد، امنُنْ عليَّ، ودعني لبناتي، وأعطيك عهدًا ألا أعود لقتالك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تمسح على عارضيك بمكة، تقول: قد خدعت محمدًا مرتين))، فأمَر به فضُرب عنقه)[[16]](#footnote-16).

1. **الدعاء للرعية:** ولأن وظيفة القائد هي رعاية الناس، فالقائد الإيجابي من سيكون الناس همه، ولا يكفي أنه يرعى شؤونهم المادية، بل يتعامل معهم معنويًّا أيضًا؛ فهو يدعو لهم بالتوفيق، ويستغفر لهم الله جل جلاله، وبذلك فهو يبذل كل ما يستطيع لهم من الوجوه كافة، المادية والمعنوية؛ قال تعالى:{فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 62]؛ فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} [إبراهيم: 36]، وقال عيسى عليه السلام: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118]، فرفع يديه صلى الله عليه وسلم وقال: ((**اللهم أمَّتي أمَّتي**))، وبكى، فقال الله جل جلاله: ((يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله: ما يبكيك؟))، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم، فقال الله: ((يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنَّا سنُرضيك في أمتك، ولا نسوءُك))[[17]](#footnote-17)، قال ابن القيم رحمه الله: (وقام صلى الله عليه وسلم ليلة تامة بآية يتلوها ويرددها حتى الصباح، {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118][[18]](#footnote-18).

لقد قال الله جل جلاله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: 103]، وصلِّ عليهم؛ أي: ادعُ لهم؛ فصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على الناس أنه يدعو لهم؛ قال الطبري في تفسيره: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} [التوبة: 103]: يقول: وادعُ لهم بالمغفرة لذنوبهم، واستغفِرْ لهم منها، {إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [التوبة: 103]، يقول: إن دعاءَك واستغفارك طمأنينةٌ لهم بأن الله جل جلاله قد عفا عنهم وقَبِلَ توبتهم)[[19]](#footnote-19).

ولا يدعو القائد لرعيته إلا لكونه يحبهم؛ فهو يتمنى لهم الخير، ويريد أن ينقذهم إذا كانوا في طريق يهلكهم، ويريد أن يعينهم إذا كانوا على الحق؛ فعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلُّون عليكم وتصلُّون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تُبغِضونهم ويُبغِضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم))، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: ((لا، ما أقاموا فيكم الصلاةَ، وإذا رأيتم مِن ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرَهوا عمله، ولا تنزِعوا يدًا من طاعة))[[20]](#footnote-20).

1. **مشاورة الرعية:** فمن صفات القائد الإيجابية المهمة، التي تنفي عنه صفة الاستبداد بالرأي، أو ما يعرف بالـ: (الدكتاتورية) في الفكر المعاصر -: صفة الشورى، ومفردة المشاورة أصلها الفعل ش و ر، فيقال: شُرْتُ العسل أشُورُه إذا جنيته أو شربته، وفي ذلك دلالة على ما في مشاورة أهل الرأي من الناس من فوائد كفوائد العسل، أو هي شفاء للأمراض التي يمكن أن تتسلل إلى قلب القائد، وفيها دلالة أخرى عن طريقة تكوين العسل من المثابرة والعمل الجماعي، وحُسن الانقياد للقائد، والتضحية من أجل الفريق.

والمشاورة: هي المراجعة لاستماع الآراء ممن تستحسن آراؤهم، للخروج بقرارات فيها مصلحة الجماعة، وهي آلية مهمة من آليات القيادة، ولا غنى للقائد عنها، ولكن في حقيقتها هي غير ملزمة للقائد في كل الحالات.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرَ الاستشارة، وهو أغنى الناس عنها، فكان يستثمر المواقف المختلفة ليقول: ((أشيروا عليَّ))، ولم يكن يفعلها للدعاية، وإنما كان كثيرًا ما ينزل لآراء من يشيرهم؛ فمن القضايا التي طلب صلى الله عليه وسلم ممن معه الاستشارة:

* **الاستشارة في القرارات الإستراتيجية**: فمن ذلك استشارته صلى الله عليه وسلم الأنصار في معركة بدر، وهي أول معركة بين الكفر والإسلام، فقد قال: (**(أشيروا عليَّ أيها الناس**)، وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة، قالوا: يا رسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمَّتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، قال: فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: ((أجل))، قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردتَ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخُضتَه، لخضناه معك ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن يلقانا عدونا غدًا، إنا لَصُبرٌ عند الحرب، صُدقٌ عند اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقَرُّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: ((سِيروا على بركة الله، وأبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم غدًا))[[21]](#footnote-21).
* **أنه خرج صلى الله عليه وسلم مع بعض أصحابه من أجل العمرة** في عام الحديبية، فجاءته الأخبار بأن قريشًا خرجت لتقاتلهم؛ فقد "خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة، قلَّد الهَدْي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عينًا له من خزاعة، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه، قال: إن قريشًا جمعوا لك جموعًا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادُّوك عن البيت، ومانعوك، فقال: ((أشيروا أيها الناس عليَّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينًا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين))، قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامدًا لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجَّهْ له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: ((امضوا على اسم الله))"[[22]](#footnote-22).
* **استشارته صلى الله عليه وسلم في موضوع شخصي،** فحين طُعن في أقرب الناس إليه، وهي زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها، قال صلى الله عليه وسلم: ((أما بعد، أشيروا عليَّ في أناس أَبَنُوا أهلي، وايم الله ما علمت على أهلي من سوء قط، وأَبَنُوهم بمن؟ والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبتُ في سفر إلا غاب معي))[[23]](#footnote-23).

يقول الفخر الرازي في تفسيره (قوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159]، يقول أبو بكر الرازي في تفسيره: وقوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159]، وفيه مسائل:

**(المسألة الأولى**: يقال: شاورهم مشاورة وشوارًا ومشورة، والقوم شورى، وقيل: المشاورة مأخوذة من قولهم: شُرْت العسل أَشُوره إذا أخذته من موضعه واستخرجته، وقيل: مأخوذة من قولهم: شُرْت الدابة شورًا إذا عرضتها، والمكان الذي يعرض فيه الدواب يسمى مشوارًا، كأنه بالعرض يعلم خيره وشره، فكذلك بالمشاورة يعلم خير الأمور وشرها.

**المسألة الثانية**: الفائدة في أنه تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم وجوه:

* الأول: أن مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم توجب علوَّ شأنهم، ورفعة درجتهم؛ وذلك يقتضي شدة محبتهم له، وخلوصهم في طاعته، ولو لم يفعل ذلك لكان ذلك إهانة بهم، فيحصل سوء الخلق والفظاظة.
* الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم، وإن كان أكمل الناس عقلًا، إلا أن علوم الخلق متناهية، فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا، فإنه عليه السلام قال: ((أنتم أعرف بأمور دنياكم، وأنا أعرف بأمور دينكم))؛ ولهذا السبب قال عليه السلام: ((ما تشاوَر قوم قط إلا هُدُوا لأرشد أمرهم))[[24]](#footnote-24).
* الثالث: قال الحسن وسفيان بن عيينة: إنما أمر صلى الله عليه وسلم بذلك ليقتدي به غيره في المشاورة، ويصير سنة في أمته.
* الرابع: أنه عليه السلام شاورهم في واقعة أُحُد، فأشاروا عليه بالخروج، وكان ميله إلى ألا يخرج، فلما خرج وقع ما وقع، فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك، لكان ذلك يدل على أنه بقي في قلبه منهم بسبب مشاورتهم بقية أثر، فأمره الله تعالى بعد تلك الواقعة بأن يشاورهم؛ ليدل على أنه لم يبقَ في قلبه أثرٌ من تلك الواقعة.
* الخامس: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159]، لا لتستفيد منهم رأيًا وعلمًا، لكن لكي تعلم مقادير عقولهم وأفهامهم، ومقادير حبهم لك، وإخلاصهم في طاعتك، فحينئذ يتميز عندك الفاضل من المفضول، فبين لهم على قدر منازلهم.
* السادس: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159] لا لأنك محتاج إليهم، ولكن لأجل أنك إذا شاورتهم في الأمر، اجتهد كل واحد منهم في استخراج الوجه الأصلح في تلك الواقعة، فتصير الأرواح متطابقة متوافقة على تحصيل أصلح الوجوه فيها، وتطابُقُ الأرواح الطاهرة على الشيء الواحد مما يعين على حصوله، وهذا هو السر عند الاجتماع في الصلوات، وهو السر في أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المنفرد.
* السابع: لما أمر الله جل جلاله محمدًا عليه السلام بمشاورتهم، دل ذلك على أن لهم عند الله جل جلاله قدرًا وقيمة، فهذا يفيد أن لهم قدرًا عند الله، وقدرًا عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وقدرًا عند الخلق.
* الثامن: الملك العظيم لا يشاور في المهمات العظيمة إلا خواصه والمقربين منه، فهؤلاء لما أذنبوا عفا الله عنهم، فربما خطر ببالهم أن الله تعالى وإن عفا عنا بفضله إلا أنه ما بقيت لنا تلك الدرجة العظيمة، فبين الله تعالى أن تلك الدرجة ما انتقصت بعد التوبة، بل أنا أزيد فيها، وذلك أن قبل هذه الواقعة ما أمرت رسولي بمشاورتكم، وبعد هذه الواقعة أمرته بمشاورتكم؛ لتعلموا أنكم الآن أعظم حالاً مما كنتم قبل ذلك، والسبب فيه أنكم قبل هذه الواقعة كنتم تعوِّلون على أعمالكم وطاعتكم، والآن تعوِّلون على فضلي وعفوي، فيجب أن تصير درجتكم ومنزلتكم الآن أعظمَ مما كان قبل ذلك؛ لتعلموا أن عفوي أعظم من عملكم، وكرمي أكثر من طاعتكم، والوجوه الثلاثة الأول مذكورة، والبقية مما خطر ببالي عند هذا الموضع، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

**المسألة الثالثة**: اتفقوا على أن كل ما نزل فيه وحي من عند الله جل جلاله، لم يجُزْ للرسول صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الأمة؛ لأنه إذا جاء النصُّ بطَل الرأيُ والقياس، فأما ما لا نص فيه، فهل تجوز المشاورة فيه في جميع الأشياء أم لا؟

قال الكلبي وكثير من العلماء: هذا الأمر مخصوص بالمشاورة في الحروب، وحجته أن الألف واللام في لفظ "الأمر" ليسا للاستغراق، لما بين أن الذي نزل فيه الوحي لا تجوز المشاورة فيه، فوجب حمل الألف واللام ها هنا على المعهود السابق، والمعهود السابق في هذه الآية إنما هو ما يتعلق بالحرب ولقاء العدو، فكان قوله: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159] مختصًّا بذلك، ثم قال القائلون بهذا القول: قد أشار الحُباب بن المنذر يوم بدرٍ على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على الماء، فقبِل منه، فأشار عليه السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، يوم الخندق، بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا، فقبِل منهما وخرق الصحيفة.

**المسألة الرابعة**: ظاهر الأمر للوجوب؛ فقوله: {**المسألة الخامسة**: روى الواحدي في الوسيط عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه قال: الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمشاورته في هذه الآية: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وعندي فيه إشكال؛ لأن الذين أمر الله جل جلاله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم في هذه الآية هم الذين أمره بأن يعفو عنهم، ويستغفر لهم، وهم المنهزمون، فهَبْ أن عمر رضي الله عنه كان من المنهزمين فدخل تحت الآية، إلا أن أبا بكر ما كان منهم، فكيف يدخل تحت هذه الآية؟! والله أعلم)[[25]](#footnote-25).

والقائد يستشير مَن حوله حسب مكانتهم منه، وحكمتهم، ووزنهم الاجتماعي، وتخصصهم، فيكون المستشارون وفقًا لما ذكر على أنواع:

* **مستشارون مقرَّبون**، ويكونون في الغالب قليلي العدد، وربما لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، وهؤلاء يستشارون في القضايا العامة والخاصة المستعجلة، التي تتطلب قرارات سريعة، وكذلك يستشارون في القضايا الإستراتيجية التي تكون تمهيدًا لاستشارة أعظم، يستشار فيها السواد الأعظم من الأمة؛ فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير كلاًّ من أبي بكر الصِّدِّيق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في مثل هذه الحالة.
* **أهل الحَلِّ والعقد**، وهم مجموعة من المقربين من أهل الرأي والمكانة والعقل؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير بعض الصحابة بشكل خاص، ومن ذلك استشارته للأنصار رضي الله عنهم في غزوة بدر، وقد استبشر برأيهم، وأخذ به.
* **عموم الناس:** وقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عموم مَن في المدينة في غزوة أُحُد، وقد استجاب لرأي السواد الأعظم منهم، بالرغم من أن رأيهم لم يكن يوافق رأيه صلى الله عليه وسلم.
* **النهي عن مشاورة العُتاة والمتكبرين:** فهؤلاء غافلون عن الله جل جلاله، ومن يغفُل عن طريق الله جل جلاله فإنه سيجد طريقًا آخر جاهزًا، هو هوى نفسه، فتأتي استشارته مشتتة وتائهة، ولا قيمة لها، فهي تؤدي إلى نتائجَ سلبية؛ قال تعالى**:** {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: 28]؛ لذلك توجَّب هنا على القائد أن ينظر ببصيرة لِمَن هم من هذا النوع، ويشخِّصهم، فلعلهم قريبون منه وهو لا يعلم.

وعلى العموم، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يستمع إلى الناس، صغيرهم وكبيرهم، فقيرهم وغنيهم، ويطلب أن يشيروا عليه كما ذكرنا، حتى إن المنافقين طعنوا به من هذا الباب وآذَوْه، فوصفوه بزعمهم بأنه (أُذُن)؛ أي: يسمع ويصدق كل ما يقال له، ولكن الله جل جلاله ردَّهم بأنه نبيٌّ ملهَمٌ، وهو يصدق ما يسمع من الخير فحسب، ولا تنطلي عليه أكاذيب المنافقين؛ قال تعالى**:** {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة: 61].

1. **العزيمة:** جاء في تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري قوله: (قال الليث: العزم: ما عقد عليه قلبك من أمرٍ أنك فاعله، وتقول: ما لفلان عزيمةٌ؛ أي: لا يثبت على أمرٍ يعزم عليه)، بمعنى أن القائد الإيجابي ينبغي أن يكون صاحب قرار، كما يقال في علم الإدارة اليوم، ويكون حازمًا وحاسمًا في قراراته.

**(**والعزيمة لها ثلاثة أركان:

**أحدها**: أن تقيس بين نعمته جل جلاله وجنايتك.

**والثاني**: تمييز ما للحق عما لك أو منك، فتعلم أن الجناية عليك حجة، والطاعة عليك منَّة، والحكم عليك حجَّة، ما هو لك معذرة.

**والثالث**: أن تعرف أن كل طاعة رضيتُها منك فهي عليك، وكل معصية عيَّرت بها أخاك فهي إليك، ولا تضع ميزان وقتك من يديك)[[26]](#footnote-26).

1. **التوكل على الله جل جلاله:** وهذه الصفة هي جزء من الجانب الروحي الذي تكلمنا عنه في موضع سابق؛ فالقائد الإيجابي متوكل على الله جل جلاله في كل أحواله، لا يعتمد على ما يمتلك من مواصفات ومؤهلات، مهما بلغت؛ فقد يخدع الشيطان القائد بأنه يتمتع بإمكانات ومهارات يمكنه الاعتماد على نفسه بها، فيكون هذا القائد قد اقترف خطأً فادحًا؛ قال تعالى لنبيه جل جلاله: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: 79]، وفي الآية قضية أخرى مهمة، فلا ينبغي للقائد أن يدعي أنه متوكل على الله جل جلاله وهو يسير في طريق الباطل والظلم، إنما يتوكل على الله حين يكون على الحق الواضح الذي لا لَبْسَ فيه.

فالقائد حين يكون متوكلًا على الله جل جلاله، يكون قد وضع نفسه في مقام يحبه الله جل جلاله؛ قال تعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]، فإن أحب اللهُ جل جلاله القائدَ صار يرى ويسمع ويبطِش بقدرة الله جل جلاله؛ جاء في الحديث القدسي، يقول الله جل جلاله: ((فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورِجْلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيَنَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه)[[27]](#footnote-27).

1. **الأسوة الحسنة**: لقد جاء الخطاب القرآني بمفردة (أسوة)، وقد وصف بها الله جل جلاله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ لأن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن قدوة فحسب؛ قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21]،وتأتي أسوة هنا بمجموعة من المعاني، وهي:

* القدوة؛ فالقائد قدوة لأتباعه في كل شيء، فيقال: فلان أسوة، وهو خليقٌ بأن يؤتسى به.
* القوم أسوة؛ أي: متماثلون في الأشياء؛ فالقائد أسوة مع أتباعه، فهو مثله مثلهم لا يمتاز عنهم بمأكل ولا مشرب، ولا مسكن ولا مركب، فهم في الحال سواءٌ.
* من المواساة، وهي تخفيف الألم؛ لأن الأسَى هو الألم، ودور القائد أن يَرْبِتَ على أكتاف المهمومين والجياع والمساكين، فيواسيهم.
* جاء في القاموس المحيط للفيروزابادي: والآسي: الطبيب؛ فالقائد الإيجابي هو طبيب القوم، لا أقول: طبيب الأبدان، ولكن طبيب الأرواح والقلوب.

والقائد الأسوة يكون له دور تربوي لأتباعه، وتكون تربيته من خلال:

* التوجيه المباشر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد تشخيصه، سواء كان ذلك ظاهرة من ظواهر المجتمع، أو تصرُّفًا فرديًّا.
* وضع الأنظمة والقوانين، التي تضمن أن يكون توجيه القدوة يمكن تطبيقه على أرض الواقع.
* التأثير على الأتباع بالقدوة، بمعنى أن يقوم هو بالتصرف المناسب الصحيح، فيجتنب المنكر، ويفعل المعروف بنفسه، فيشاهده الأتباع، فيصنعون مثله.

1. **الزهد في الدنيا وما فيها:** فالقائد الإيجابي لا يفكر في حظوظ الدنيا، ولا ملذاتها؛ لأنها ليست مرادة، ولا هدفَه الذي يكِدُّ مِن أجله؛ قال تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه: 131]، وهكذا استجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذ الأمر، وترك زينة الحياة الدنيا، حتى إنه كانت تمر عليه أيام وليس في بيته ما يطبخ، وأيام أخرى ليس في بيوته إلا الماء؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسائه، فقُلْن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن يضمُّ أو يُضيِّف هذا؟))، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عَشاءً، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((ضحِك الله الليلة، أو عجِب، من فعالكما))، فأنزل الله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9][[28]](#footnote-28)**،** وعن عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنه: أن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (إن كنا، آلَ محمد صلى الله عليه وسلم، لنمكث شهرًا ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمرُ والماء)[[29]](#footnote-29)، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعُه مرهونة عند يهودي.

ولا يعني زهد القائد أنه يلبَسُ المهلهل من الثياب، ويحرم نفسه مما أنعم الله جل جلاله عليه من الطعام، ويمشي وهو منحني الظهر، ثائر الرأس، ساهي البال، ضعيف الحال، وإنما يزهد عن كل ما في الدنيا بوجودها، فإن أنعم عليه الله جل جلاله من نعم الدنيا، فإنها تكون في يده لا في قلبه؛ فهو ينفق في سبيل الله جل جلاله من غير تردُّد؛ فالزهد للقائد أن تعزف نفسه عن الدنيا بالكلية، فلا يبالغ في ملبَسه، ولا يتطاول في بنيانه، ولا يُكثر أنواع طعامه، ويستثمر ما مُنِح من نِعَمِ الدنيا في نجاح مشروعه في طاعة ربه جل جلاله، وكسب وُدِّ الناس وخدمتهم.

1. **مباشرة شؤون الرعية بكامل الوقت**: فلا يصح أن يعطي القائد فتاتًا من وقته لإدارة شؤون الناس ومباشرة مصالحهم، بل لا بد له أن يعطيهم عِينَةَ وقته؛ لأنهم من أهم الأولويات بالنسبة له؛ قال تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [آل عمران: 121].

فهنا تظهر مباشرة القائد الإيجابي لأعمال القيادة بنفسه، وعن قرب ممن هم بمعيته؛ حيث يصف القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم يغدو من أهله؛ فهو يترك مصالحه البيتية ويترك حاجته لأهله، وحاجات أهله إليه، من أجل أن يقسم الأعمال بين رعاياه، وجاء الإعجاز القرآني بقوله جل جلاله: {غَدَوْتَ} [آل عمران: 121] وهو وقت الصباح الباكر؛ أي: إن القائد الإيجابي يعطي من الوقت أثمنه وأهمه في الاهتمام بشؤون من معه، وتوزيع الأدوار على مواطنيه، وخاصة في موضوع الجهاد، الذي هو السبب في دوام دولتهم.

وليس ذلك فحسب، بل ويبذل من وقته في شؤون حياتهم الأخرى، ويمارسها معهم، ومنها العبادات، وأهمها الصلاة؛ قال تعالى: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ} [النساء: 102].

1. **يراعي القوانين والأحكام المتفق عليها:** والقائد الإيجابي هو أول من يطبق القوانين والأنظمة التي تضعها الجماعة وتتفق عليها؛ فهو يشرف على تطبيقها بنفسه، ثم يكون أهل بيته أول من يطبقها من بعده، ولا ينقضها أو يتهاون فيها، مهما كلف الأمر، ويعتبر احترام تلك الأحكام والقوانين التي تقوم عليها مصلحة الأمة أمرًا مقدَّسًا؛ فهو يمارسه بنفسه، ويدعو الناس إليه، ويعطي من أجل ذلك عهودًا لا يخلفها؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: 59]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحريم: 1]**، وعامة الرعية يشعُرون بالأمان والراحة حين يتعاملون مع قائد يحترم ويطبِّق القوانين.**

يقول الإمام جمال الدين الجيشي: (وما نُقل عن أحد ممن ظلم وهضم من ملوك العرب والعجم ممن وحد الله وأسلم: أنه عكَس قانون الشريعة، ولا رام خِذلانها في الدنيا الوسيعة، ولا غيَّر قانونها الرفيع، ولا رمى أهلها بالثلب والتبديع، بل أقاموا الدين على رؤوسهم، وآثَروا نصر الشريعة على نفوسهم، وبذلوا الأرواح والأموال لنصره، وقدَروا شرع الله سبحانه حقَّ قدره، وأوصَوْا بتوقيره أخدامهم، وأجرَوْا بذلك في كتبهم أقلامَهم، فكانوا إذا ولَّوا أميرًا على ناحية أو بلدة قاصية فمن أول ما يعهدون إليه ويأخذون عليه: القيام بإعزاز الشريعة والأحكام اللذين بهما قوام الإسلام)[[30]](#footnote-30).

1. **الشدة على الكفار،** والأمر هنا يتعلق بالولاء والبراء؛ فالبراءة من أعداء الأمة تقتضي التبرؤ والمعاداة والمخالفة، وأخص منهم الأعداء المحاربين، فيقتضي هنا الشدة معهم، والغلظة والحرب إذا اقتضت الضرورة؛ قال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} [الفتح: 29]، "وفي قيام المغيرةِ بن شعبة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد، سنَّة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو؛ من إظهار العز والفخر، وتعظيم الإمام وطاعته، ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من هذا النوع الذي ذمَّه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((مَن أحَبَّ أن يتمثَّل له الرجال قيامًا، فليتبوَّأْ مَقعده من النار))"[[31]](#footnote-31).

وعلى القائد أن يعي بأن ليس كل مخالف له في الرأي يوضع في جهة الأعداء، وإنما الغلظة والشدة تكون لمن يحارب مشروع المجموعة التي ينتمي لها القائد، حربًا معلنة أو خفية، ومن يريد أن يحطم أحلامهم، فهذا هو العدو، وأما المخالف له في الرأي مهما كان، فإنه ليس عدوًّا، وإنما يحترم رأيه، ثم يوضح له الحق.

والاختلاف في الرأي يكون على نوعين:

* الأول: **اختلاف التنوع**: وهذا النوع يكون إيجابيًّا؛ لأن فيه إضافة لفكر المجموعة، وزيادة في نتاجها، وفيه احترام لآراء الآخرين، وعدم مصادرتها؛ فهي بالتالي تصُبُّ في المصلحة العامة للجماعة، ووجود حالة اختلاف التنوع فيه وجوه:
* ربما كان أحد الآراء صحيحًا، فيكون ذلك الرأي السديد منارًا للبقية؛ من أجل أن يصححوا ما كانوا يؤمنون به في الاتجاه الصحيح.
* وربما لا يكون أي من الآراء صحيحًا، فتجتهد المجموعة عندها من أجل الوصول إلى الحق، وهو ما تسعى له مع قائدها.
* أن تكون الآراء كلها، أو بعض منها، صحيحة، وعند وجود آراء متعددة صحيحة يكون الاختلاف هنا في درجة الصحة، فيقدم الأكثر صحة، ثم الأصح، ثم الصحيح، وبذلك يقوم القائد بوضع آلية للأولويات، وتتعلم الجماعة فقه الأولويات.
* الثاني: **اختلاف التضاد**: وهو الاختلاف السلبي، الذي يؤدي إلى تمزق الجماعة، وتفرُّق أفرادها، أو تنشأ من وجوده العداوة والبغضاء بينهم، ثم تتحول هذه إلى الكراهية والكيد، وهو اختلاف مرفوض تحت أي عنوان أو ذريعة.

1. **الألم على حال مَن يقودهم إذا كانوا في حالة سلبية:** إن القائد الحقيقي هو ذلك الذي يحترق قلبه وتلتهب أحشاؤه ويَعِزُّ عليه أن يرى أبناء جلدته في أزمة، وأي أزمة أشد على العقلاء من الضياع والبُعد عن منهج الله جل جلاله؟! وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، حريصًا أشد الحرص على من معه؛ قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]، وحين يَعِزُّ على القائد أن ينحرف قومه عن جادة الحق، ويتيهوا عن الهدف، فإن ذلك يعني أن قلبه يرق لهم؛ فهو رؤوف بهم، رحيم بحالهم، فيتعامل معهم على أساس هاتين الخَصلتين، قال فخر الدين الرازي في تفسيره: (فإنه بحال يشق عليه ضرركم، وتعظُمُ رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم؛ فهو كالطبيب المشفِق والأبِ الرحيم في حقكم، والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسُرُ تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة، إلا أنه لما عرف أن الطبيب حاذقٌ وأن الأب مشفقٌ صارت تلك المعالجات المؤلمة متحمَّلة، وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان، فكذا ها هنا، لما عرفتم أنه رسول حقٌّ من عند الله، فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة؛ لتفوزوا بكل خير)[[32]](#footnote-32).

**بل ذهب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لأبعدَ من ذلك،** فقد كاد أن يقتل نفسه ألمًا، حرصًا منه على هداية قومه؛ لأنه يعلم ما أعد الله جل جلاله لمن لا يهتدي منهم من العذاب الأليم، وهو لا يريدهم أن يعذبوا؛ قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 6]، وقال تعالى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 3].

ومِن حرصه الشديد صلى الله عليه وسلم على أمته: أنه خبأ دعوته المستجابة التي أعطيها - مثلما أعطيها إخوته من الأنبياء - إلى يوم القيامة، ودفع دعوته الخاصة عن نفسه وأهل بيته وخصَّصها لأمته؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لكل نبي دعوةٌ مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي في الآخرة))[[33]](#footnote-33).

1. **عدم طاعة الرعية في كل الأحوال**: إن الجماعة مع ما فيها من أهمية قصوى وفوائدَ جمة، وإنجازات باهرة، ناهيك عن أن الفرد مأمور أن يكون مع الجماعة حين تكون على الحق، فإنها تجمع أناسًا من مختلف الثقافات والطبائع والعروق؛ لذلك فإنهم متفاوتو الفَهم والذكاء، فمنهم الحاذق، ومنهم متوسط الذكاء، ومنهم الإنسان المسكين في كل شيء في حياته، ومن هنا تأتي آراؤهم متباينةً، ويكون أهل الرأي وأصحاب الفِطنة في الغالب قليلين في الجماعة؛ قال تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: 106]؛ لهذا فليس مفروضًا على القائد أن يطيع الأكثرية دائمًا؛ لأنهم لا يعرفون مصالحهم جيدًا؛ فقد يضرون أنفسهم والآخرين في الكثير من آرائهم؛ قال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ} [الحجرات: 7]، فلو استجاب القائد لرأي الجميع في كل شاردة وورادة، لكان أولُ مَن يتضرر من ذلك هم أنفسهم.

وعلى القائد الإيجابي أن ينتبه جيدًا لأولئك الغافلين، المنهمكين في الدنيا وملذاتها، فلا يستمع لما يقولون، ولا يأبَهُ لما يعرضون من الآراء؛ لأنها آراء فاسدة ناتجة من اتباعهم لهوى أنفسهم، وإن أمرهم هراءٌ وهباءٌ؛ قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: 28].

1. **الرحمة والرأفة**: فقد وصفه ربه جل جلاله بقوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]**،** فقد كان صلى الله عليه وسلم يُعِين محتاجهم، ويعلِّم جاهلهم، ويعُود مريضهم، ويربت على كتف مهمومهم، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنموذجًا حقيقيًّا في هذا المجال، فكان رحمة بهم بالفعل؛ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، وقد وصفَتْه زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها بقولها: (كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك:

* **لتصِلُ الرحِم،**
* **وتحمِل الكَلَّ،**
* **وتَكسِبُ المعدوم،**
* **وتَقْري الضيف،**
* **وتُعِين على نوائب الحق**)[[34]](#footnote-34).

**وهذه الرحمة والرأفة نابعة من كونه واحدً منهم (من أنفسهم)، بمعنى: يشعر بهم، ويعلم توجهاتهم، ويفهم ما يعانون منه، وحين يكون القائد بهذا المقام يستطيع أن يقدِّم الوصفات اللازمة لحَلِّ كل مشاكلهم.**

1. **الصبر:** قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:{وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [هود: 115]، والقائد لا بد له أن يكون صبورًا، وصبر القائد يكون مختلفًا عن صبر بقية الناس، كمًّا نوعًا؛ قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: 35]، وهذا هو صبر القائد المطلوب، صبر لرجال يعدون على عدد أصابع اليد الواحدة؛ لكي يتلاءم مع حجم المهمة التي على عاتقه، فيكون ذلك الصبر سببًا في توفيقه ونجاحه في تلك المهمة، والصبر يكون على ثلاثة أنواع:

**الأول: صبر على طاعة الله جل جلاله:** فالقائد لا بد أن يكون أول الملتزمين بأوامر الله جل جلاله، مؤديًا للفرائض، وذلك يقتضي الصبر عليها؛ لأن مهمة القائد عظيمة، وقد تأخذ منه كل الوقت، فلا يجد الوقت الكافي لأداء باقي أمور حياته، ولكن رغم هذا لا بد له من أداء الواجبات الشرعية بشكل منتظم مع الجماعة.

**الثاني: صبر عن معصية الله جل جلاله:** فالمعصية بالنسبة للقائد مشروع للشيطان، وتهديم للعلاقة فيما بينه وبين ربه، وبينه وبين الناس؛ وذلك لتوفُّر أدواتها بشكل كبير، فهناك العديد من الأسباب التي تجعل من القائد مشروعًا للمعصية، ومن تلك الأسباب:

* أنه في حالة وقوعه في المعصية فإن الاحتمال الأكبر أن لا أحد سوف يسأله أو يحاسبه أو يلومه (من البشر)، بل على العكس، فلربما شجَّعوه وأيَّدوه عليها.
* توفر أدوات المعصية؛ من المال، والسلطة، وطاعة الناس.
* إمكانية توفير مناخات خافية للمعاصي.

**الثالث: صبر على الابتلاء، وهو نوعان:**

* **ابتلاء الضراء:** ومن نماذج هذا النوع من الابتلاء الذي يتعرض له القائد: أن تكون الرعية غير مَهدية، ومشاكسةً، وصعبة الانقياد، كذلك تكون الظروف التي تعيشها المجموعة غير مناسبة؛ كالقحط، وقلة المال، وتهديدات الأعداء، **فصبر القائد على الضراء ضرورته في أمرين:**
* **أولهما: يستفيد من تجرِبة هذا الابتلاء في** تربية نفسه، وتعويدها على القسوة والمشقة، وهي منفعة شخصية**.**
* **ثانيهما:** لكي يكون قدوة لغيره ممن يقودهم.
* **ابتلاء السراء**: وهذا النوع من الابتلاء يكون حين تكون الرعية مَهديَّة، وناصحة، وقوية، تأمر قائدها بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وكذلك الحال في الظروف التي يعيشها القائد مع مجموعته، فتكون ظروفًا مناسبة؛ من توفر المال، وتيسير الأمور، وتوفر كافة مستلزمات الحياة وأدوات النجاح، وما إلى ذلك، وهذا الابتلاء أشد من ابتلاء الضراء؛ فعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: "ابتُلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضراء فصبرنا، ثم ابتُلينا بالسراء بعده فلم نصبر"[[35]](#footnote-35)، وربط القرآن الكريم الصبرَ في العديد من الآيات بالنتائج المهمة في حياة القائد، فمنها:
* إذا اقترن الصبر مع التقوى، كانت النتائج عظيمة؛ قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} [هود: 49].
* إن وجود القائد في مجال الصبر يعني أن الحقَّ معه؛ فقد جاء ذكر الصبر مع الحق في أكثرَ من مقام في القرآن الكريم:
* قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: 60].
* وقال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [غافر: 55].
* وقال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [غافر: 77].
* ومع صبر القائد، فإنه يستمر بالارتقاء بالجانب الرُّوحي مرة أخرى، فيكونان متلازمين معه، حتى يصل مرتبة الرضا، التي هي أعلى مراتب الصبر؛ قال تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} [طه: 130]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((عِظَمُ الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخِط فله السُّخط))[[36]](#footnote-36).

فسلاح الصبر الجميل ينبغي أن يتسلح به القائد الإيجابي؛ فهو مفتاح التفاؤل، وسلَّم الأمل، والمشعل الذي يبصر به طريق المستقبل، وهو المِعوَل الذي يحطم به كل العقبات الكَأْداءِ التي تُعيقه في طريق مسيرته نحو الهدف، ثم ما يزال القائد بالصبر حتى يفتح الله جل جلاله عليه، فيقطف ثماره التي تكون كبيرة وعظيمة.

ونظرًا لأهمية الصبر، فقد قدمه القرآن العظيم على الصلاة في موطن الابتلاء، بالرغم من أن الصلاة هي عماد الدين، والعهد الذي يميز المسلمين عن غيرهم؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: 153]؛ ذلك أنه في البلاء والشدة لن يستطيع إنسان أن يؤدي أي عبادة، سواء كانت صلاة أو غيرها، قبل الصبر؛ لأنه بغير الصبر يكون مشتَّت الفكر، متردِّد القلب، منهك القوى، فتأتي عبادته خالية من الخشوع والتدبر.

يقول الشيزري في صبر القائد: (صبر الملوك، وهو عبارة عن ثلاث قوى:

القوة الأولى: قوة الحِلم، وثمرتها العفو.

القوة الثانية: قوة الكلاءة، وثمرتها عمارة المملكة.

الثالثة: قوة الشجاعة، وثمرتها في الملوك الثباتُ؛ لأن إقدامَهم في المعارك تهوُّرٌ وطيش... لأن معنى الصبر الثبات والحبس والإمساك، فمن اتصف بشيء من هذه الخصال ولم يصبر كان عند مزايلته كمن لم يتصف به؛ فالصبر ضابط للأوصاف الشريفة، كما يضبط الأمير جنوده، وقيل: كان مكتوبًا في الصحيفة الصفراء المعلقة في أعظم هياكل الفُرْس: كما أن الحديد يعشق المغناطيس، فكذلك الظَّفَر يعشق الصبر، فاصبِرْ تظفَرْ، أنشدني بعض أهل العلم:

**إني وجدت وخير القول أحمده = للصبر عاقبةٌ محمودة الأثر**

**وقلَّ من جد في أمر يطالبه = واستصحب الصبر إلا فاز بالظَّفَر)[[37]](#footnote-37).**

1. **التعامل مع بسطاء القوم:** جرى العُرْفُ القيادي بين الناس أن القائد يقرِّب ويجامل ويتعامل مع الأقوياء والوجهاء والأغنياء، وهم الذين يكونون بطانته ومستشاريه وخاصته، ويدع ضعفاء القوم وفقراءهم، وربما يطردهم من مجلسه، ويستكنف أن يقربهم منه؛ قال تعالى: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 52]، وسبب نزول هذه الآية أن كبار قريش أحبُّوا حين يستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يُبعِد فقراء وضعفاء المسلمين؛ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع، فحدَّث نفسه، فأنزل الله عز وجل: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام: 52]"[[38]](#footnote-38)، فكان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جعل لفقراء المسلمين مكانًا في ناحية المسجد، هو (الصفة)، فكانوا يأوون إليه، وكانوا في حال يرثى له؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة، ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده، كراهية أن ترى عورته"[[39]](#footnote-39).

وكان ذلك الحال دافعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن ينظر إليهم، ويرى طلباتهم كلما غدا أو راح، ويقدمهم في العطاء على غيرهم، بل ويقدمهم حتى على أهل بيته في العطاء، بل وعلى نفسه صلى الله عليه وسلم قبل كل ذلك؛ فإن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: "ألله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألتُه إلا ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل، ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، فتبسم حين رآني، وعرَف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: ((يا أبا هِرٍّ))، قلت: لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((الحَقْ))، ومضى فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبنًا في قدح، فقال: ((مِن أين هذا اللبن؟))، قالوا: أهداه لك فلانٌ أو فلانةُ، قال: ((أبا هرٍّ))، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ((الحَقْ إلى أهل الصُّفَّة فادعُهم لي))، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: ((يا أبا هر))، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ((خُذْ فأعطِهم))، قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد رَوِيَ القوم كلُّهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسم، فقال: ((أبا هر))، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ((بقيتُ أنا وأنت))، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: ((اقعُدْ فاشرب))، فقعدت فشربت، فقال: ((اشرب)) فشربت، فما زال يقول: ((اشرب)) حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكًا، قال: ((فأرني)) فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة صلى الله عليه وسلم)[[40]](#footnote-40).

فالأصل أن يتعامل القائد بشفافية وعن قرب مع هذا النوع من أتباعه، ويصبر عليهم، ويعاملهم بالحسنى؛ قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: 28].

لقد كان أُوَيْسٌ القَرني رحمه الله - خير التابعين - رجلًا فقيرًا متواضعًا، حتى إن البعض كان يسخر منه، ويستهزئ به من شدة فقره، ولكن مكانته كانت عظيمةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالرغمِ من أنه لم يره، وكذلك كانت مكانة أويس - رحمه الله - عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فـ: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن رجلًا يأتيكم من اليمن، يقال له: أويس، لا يدعُ غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله عز وجل فأذهبه عنه، إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فأمروه أن يستغفر لكم))، قال: فقدم علينا، قال: قلت: من أين؟ قال: من اليمن، قال: قلت: ما اسمك؟ قال: أويس، قال: فمَن تركت، قال: أمًّا لي، قال: أكان بك وَضَحٌ فدعوت الله فأذهب به عنك؟ قال: نعم، قال: استغفر لي، قال: أويستغفر مثلي لمثلك يا أمير المؤمنين؟ قال: فاستغفر له، قال: قلت: أنت أخي لا تفارقني، قال: فانملس مني، فأُنبئت أنه قدم عليكم الكوفة، قال: فجعل ذاك الذي كان يسخر به ويحقره يقول: ما هو فينا وما نعرفه، قال عمر: بلى، إنه رجل كذا وكذا، كأنه يضع شأنه، قال: فينا يا أمير المؤمنين رجل يقال له: أُوَيس نسخر به، قال: أدركه، ولا أراك تدركه، قال: فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه قبل أن يأتي أهله، قال له أويس: ما هذا بعادتك، فما بدا لك؟ قال: سمعت عمر يقول كذا وكذا، استغفر لي يا أويس، قال: لا أفعل حتى تجعل لي عليك ألا تسخَرَ بي فيما بعد، ولا أن تذكر الذي سمعته من عمر إلى أحد، قال: فاستغفر له)[[41]](#footnote-41).

1. **البِطانة الصالحة:** فليس هناك ما يؤثِّر في القائد وتصرُّفاته وقراراته مثل البطانة؛ فالقائد الإيجابي يتخذ بطانة صالحة، تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، من غير تردُّد ولا توجُّس؛ **قال تعالى:** {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: 29]، وقد أثنى الله جل جلاله على من كانوا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمجموعة من الصفات التي تصلح لأن تكون معيارًا لبطانة القائد الإيجابي الناجح؛ ذلك أنهم:

* **أشِدَّاء على الأعداء.**
* **رُحماءُ فيما بينهم.**
* **يؤدون حق الله جل جلاله؛ بأداء العبادات على أكملِ وجه، فهم مؤمنون متديِّنون، وتبدو سمة الإيمان على جوارحهم.**
* **هدفهم هو إرضاء الله جل جلاله من خلال صدقهم مع القائد.**
* **فيهم من الهيبة ما يجعل الناظر إليهم يعجب بهم إذا كان من الموالين، ويموت غيظًا حين يكون من الأعداء.**
* **ممن يعمَلون الصالحات.**
* **صادقون؛ فقد قال الله** جل جلاله في حق من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر: 8].
* **يحبون اتباع القائد عامة، ومتحابُّون فيما بينهم.**
* **لا يحسدون أفراد الجماعة على ما آتاهم الله من فضله.**
* **يؤثرون على أنفسهم؛ قال تعالى في حق الأنصار من أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم:** ({وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9].

ونظرًا لأهمية البطانة الصالحة للقائد، فإن الله جل جلاله يذكرهم في القرآن العظيم في الترتيب بصدد الموالاة للنبي صلى الله عليه وسلم قبل الملائكة، وكأن تأثير البطانة الصالحة المؤمنة على القائد ووجودهم معه أكثرُ أهمية من الملائكة، بالرغم من القدرات الخارقة للملائكة بالمقارنة مع البشر، فذكرهم في الآية يأتي بعد جبريل عليه السلام؛ قال تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم: 4]، ولعل السبب في ذلك أن الله تعالى يريد من البشر، وعلى رأسهم قادتهم، أن يسيروا بقوانين الأسباب، ويعملوا بها في الحياة، وهذا يقتضي أن يعتمد القائد أولًا على الله تعالى؛ لأنه هو خالق الأسباب ونتائجِها، ومنزل الشرائع التي تنظمها، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى جبريل عليه السلام؛ لأنه هو من ينزل بما قدره ربنا جل جلاله، ثم يحتاج إلى المؤمنين الصالحين الموالين من الأتباع؛ لأنه بهم ومعهم يستطيع أن يطبق الأحكام التي أنزلها الله جل جلاله، ثم بعد ذلك ففي القضايا التي يأخذون فيها بكل الأسباب، ثم يُسقَط في أيديهم، فعند ذاك سيحتاجون إلى العون الإلهي الذي تؤمر به الملائكة لتقديم العون اللازم.

والقائد الإيجابي يجعل من بطانته الصالحة فريق عمل يندفع معهم إلى الأمام برُوح الفريق الواحد؛ فهو يُعطيهم بعض الصلاحيات من غير أن يخشى أن يحُلَّ أحدهم محله يومًا ما؛ لأن ذلك حاصل بالتأكيد؛ فالقائد ليس بخالد، فلمَ وممن الخشية؟! وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعامل مع بطانته المقربة؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عبدالله بن أُبَيٍّ لما توفي، جاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكفِّنْه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قميصه، فقال: ((آذِنِّي أصلي عليه))، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه، فقال: أليس الله نهاك أن تصليَ على المنافقين؟ فقال: ((أنا بين خيرتين، قال: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: 80]))، فصلى عليه، فنزلت: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة: 84][[42]](#footnote-42)، وفي هذا الحديث دلائل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستمع لبطانته، ويستجيب لهم، ويتقبَّل منهم آراءهم المعارضة والمخالفة لرأيه، ولا يزجرهم، ولا يمنَعهم من ذلك.

وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((ما بعث الله من نبي، ولا استخلَف مِن خليفة، إلا كانت له بطانتانِ: بطانةٌ تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضُّه عليه؛ فالمعصومُ مَن عصَم الله تعالى))[[43]](#footnote-43).

1. صحيح البخاري - كتاب التيمم. [↑](#footnote-ref-1)
2. صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ. [↑](#footnote-ref-2)
3. صحيح البخاري - كتاب العلم - باب فضل العلم. [↑](#footnote-ref-3)
4. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، ج1، ص 4 - 5. [↑](#footnote-ref-4)
5. صحيح ابن حبان - كتاب الزينة والتطيب - باب: آداب النوم - ذكر ما يستحب للمرء أن يعقب التهليل الذي ذكرناه بسؤال المغفرة. [↑](#footnote-ref-5)
6. صحيح البخاري - كتاب الجمعة - أبواب تقصير الصلاة - باب: قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل حتى تَرِمَ قدماه. [↑](#footnote-ref-6)
7. المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب التفسير - تفسير سورة ق. [↑](#footnote-ref-7)
8. أَخْنى: أفحش. [↑](#footnote-ref-8)
9. صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب: أبغض الأسماء إلى الله جل جلاله. [↑](#footnote-ref-9)
10. صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب شهود الملائكة بدرًا. [↑](#footnote-ref-10)
11. جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ج20، ص 359. [↑](#footnote-ref-11)
12. مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار - حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو، والمعجم الكبير للطبراني - باب الصاد - ما أسند أبو أمامة - راشد بن سعد المقرائي. [↑](#footnote-ref-12)
13. سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب : كف اللسان في الفتنة. [↑](#footnote-ref-13)
14. صحيح البخاري - كتاب الإيمان باب: الدين يسر. [↑](#footnote-ref-14)
15. صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، ذكر خِصال يستحب مجانبتها لمن أحب الاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم. [↑](#footnote-ref-15)
16. السنن الكبرى للبيهقي - كتاب السير - جماع أبواب السير - باب ما يفعله بالرجال البالغين منهم. [↑](#footnote-ref-16)
17. صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته. [↑](#footnote-ref-17)
18. زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ج1، ص331. [↑](#footnote-ref-18)
19. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري ج11، ص16. [↑](#footnote-ref-19)
20. صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب خيار الأئمة وشرارهم. [↑](#footnote-ref-20)
21. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة الأنفال - القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ} [الأنفال: 7]. [↑](#footnote-ref-21)
22. صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة الحديبية. [↑](#footnote-ref-22)
23. صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف. [↑](#footnote-ref-23)
24. أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الأدب - باب: المشورة، وهو كلام للحسن البصري، وليس حديثًا للنبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجه ابن وهب في الجامع عن الإمام مالك رحمه الله عن رجل، وذكره ابن تيمية في الكلم الطيب ينسبه لقتادة رحمه الله ، فيكون الكلام في النتيجة ليس حديثًا للنبي صلى الله عليه وسلم. [↑](#footnote-ref-24)
25. تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي، ج9 ص 397. [↑](#footnote-ref-25)
26. منازل السائرين، عبدالله الهروي، ص16. [↑](#footnote-ref-26)
27. صحيح البخاري - كتاب الرِّقاق - باب: التواضع. [↑](#footnote-ref-27)
28. صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب قول الله : {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: 9]. [↑](#footnote-ref-28)
29. صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق. [↑](#footnote-ref-29)
30. نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف، جمال الدين الجيشي، ص26. [↑](#footnote-ref-30)
31. زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ج3، ص304. [↑](#footnote-ref-31)
32. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج 16، ص 186. [↑](#footnote-ref-32)
33. صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب : لكل نبي دعوة مستجابة. [↑](#footnote-ref-33)
34. صحيح البخاري - باب بدء الوحي. [↑](#footnote-ref-34)
35. سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [↑](#footnote-ref-35)
36. سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب الصبر على البلاء. [↑](#footnote-ref-36)
37. المنهج المسلوك في سياسة الملوك، عبدالرحمن الشيزري، ج1، ص309 - 310. [↑](#footnote-ref-37)
38. صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم - باب: في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. [↑](#footnote-ref-38)
39. صحيح البخاري - كتاب الصلاة - أبواب استقبال القبلة - باب نوم الرجال في المسجد. [↑](#footnote-ref-39)
40. صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب : كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. [↑](#footnote-ref-40)
41. كرامات الأولياء، اللالكائي، ص 111، 112. [↑](#footnote-ref-41)
42. صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف. [↑](#footnote-ref-42)
43. صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب: بطانة الإمام وأهل مشورته. [↑](#footnote-ref-43)